

الرومانسي الذي يغلب عليه النواح في الرواية بأسرها .

علامة الدوائر الثلاث ، هي كما نرى علامة تحديد متبادلة ، فإذا كانت الدائرة الثالثة هي المحدد الاساسي ، فإن الدائرة الاولى تقدم عبر مركزها ، بتحديد الثانية . هكذا نصل الى دوران بلا هدف ، يقدم صرخة احتجاج دون ان يشرح آليتها . ينقل واقعا من خارجه دون ان يفسره . هكذا نسقط في اللغة السائدة .

ان هذا التحليل الاول للتمفصل الايديولوجي في الرواية ، يجب ان لا يحجب عنا بنيتها . فمفنيق يتقن صناعته جيدا . فاذا قبلنا نقطة انطلاقه الايديولوجية ، نكتشف ترابط بنية الرواية . فاشخصيات تتداخل ، تفتح منافذ على بعضها وتتفاعل . فانهار رجب هو صدى لموت امه والحاح جسده وشقيقته . تماما كما كان صموهه بسبب موقف امه الشجاع . وموقف حامد المتحدي في نهاية الرواية هو انعكاس للقمع الذي يتعرض له رجب ، وللقمع العام الذي لم يعد يحتل . وموقف اولاد شقيقته هو ايضا ، يرتبط بالموقف العام الذي يوحد الرواية من خلال شخصياتها .

غير ان هذه الوحدة تبقى شكلية ، في منظور تحليل الشخصيات كشخصيات واقعية . اما اذا حاولنا الانتقال الى التفسير الرمزي ، فاننا عندها سوف ندخل في مائة لا مخرج . فمن هي الام التي ماتت ؟ هل هي رمز سياسي ، ام هي مجرد رمز نفسي . ان الدخول في اسقاط الرمزية على الرواية يفقدنا عناصر وحدتها جميعها ويرميها في فراغ . لذلك نعتقد ان تحليلها بوصفها ثلاث دوائر واقعية تتفاعل ، هو التحليل الاثرب الى الصحة .

تقدم لنا الشهادات التي كتبها سجناء سياسيون (الاقدام العربية على سبيل المثال) وجهة اخرى لتفاصيل الحياة داخل السجن . انها حياة تفصيلية دقيقة ، تستعين عن اتساع المكان ، باتساع العلاقات الرقائعية . هنا نعرف الى تفاصيل الحياة الاجتماعية وقد حصرت في دائرة ضيقة ، وقدم لها بالرغم من العسف ، صورة مستقبلية . هذه الصورة قد تعارضها صورة انهيارية تمعية اخرى (رواية فاضل العزاوي : القطعة الخامسة) لكننا هنا ايضا نكتشف تفاصيل الفعل الانساني ، امام

بين السجناء في حالات القمع فقط . أي لا تتعرف على تفاصيل الحياة اليومية داخل السجن . السجن هنا ، هو كابوس فقط . وعلاقة السجناء ببعضهم ، لا يجري وصفها الا في الذكريات التي تهمل التفاصيل نهائيا وتركز على الاثر البيولوجي والنفسي للقمع . هكذا لا يبقى من هذه الدائرة الاولى سوى مركزها . مركز الدائرة هو صوت رجب ، الذي يركز على عالمه النفسي بوصفه عالما فرديا . هكذا يصبح السجن مجرد كابوس ، وحتى العلاقات النضالية التي يؤثر لها موت القائد هادي تصبح هنا مجرد اشارات ، كأنها لا تتبع من زمن تجربة رجب نفسها .

٢ - الدائرة الثانية هي الخارج . والدة رجب وشقيقته وانفعالهما بسجنه والعذابات الشديدة التي يتعرض لها . هنا ، لا وجود سوى لمركز الدائرة الاولى وقد انعكس في علاقات محدودة جدا . العلاقات الفردية ، التي لا تشير الى الحالة العامة الا لتبسها مساء ، تضي على الرواية طابع التحدي الرومانسي ، الذي لا مخرج له سوى بالموت . قد يكون الموت مخرجا للحظات زمنية محددة بوصفه نهايتها ، لكنه لا يستطيع حجب اطار العلاقات الاجتماعية التي تبقى في حركة دائمة ، حتى وان كانت هذه الحركة غير متطورة . هكذا تتزوج هدى وتبوت والدة رجب . يبقية معزولا وبلا أمل ، وليس لأمله سوى جسده المحطم . فيقرر الاعتراف ، التوقيع ، والخروج الى فرنسا للعلاج .

٣ - هنا نصل الى الدائرة الثالثة التي تتحرك فيها الرواية . انها اصغر الدوائر ، ولكن أشدها دلالة . لانها تكشف المنطلق الايديولوجي الذي يوقع حركة الرواية بأسرها . فمن خلال علاقة رجب بالدكتور فالي ، نكتشف النموذج الليبرالي الذي يقع خلف الرؤية الوحيدة الجانب التي تطبع الرواية بأسرها . النموذج هو الحضارة الغربية التي لا تزال تنسلق درجاتها الاولى وتنعثر . هكذا يفرق رجب في الاستحالة التي يقدمها نموذج ، ويصبح ضرورة كتلة محطمة . فهذا النموذج ، الليبرالي الغربي ، هو احد اسباب القمع في « شرق المتوسط » . ان علاقته بالتبعية وبالنظام شبه الاقطاعية علامة جدلية . فالتحرر من القمع الداخلي ، هو في الوقت نفسه تحرر من النموذج أو لا يكون . هذه الاستحالة ، تنسر المسار